

التَّارِيخُ: ١١ نوفمبر ٢٠٢٢ م - ١٦ ربيع الآخر ١٤٤٤ هـ.

الْمَوْضُوعُ: الْحَيَاةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي أُرُوبَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَرَكْتُكُمْ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَصِلُوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. "١" أَدْعُو اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْلِبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّلَامَ وَالصِّحَّةَ وَالْبَرَكَاتِ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ! مَا لَمْ يُغَيِّرِ الْمُجْتَمَعُ قِيَمَهُ لِلْمُمْتَلِكَاتِ وَالْمَلَكَّاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْمُؤَقَّتَةِ، فَلَنْ يُغَيِّرَ اللَّهُ نِعْمَةَ ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ وَنِظَامَهُ الْاجْتِمَاعِيَّ وَالثَّقَافِيَّ وَالْاِقْتِصَادِيَّ. يُذَكِّرُنَا قَانُونُ التَّغْيِيرِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي تَمَّ التَّأَكِيدُ عَلَيْهِ فِي الْآيَةِ أَنَّ الْمُكَافَاتِ أَوْ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي يَمْنَحُنَا إِيَّاهَا اللَّهُ تَتَغَيَّرُ وَفَقًا لِتَفْضِيلَاتِنَا الْخَاصَّةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لِرَبَّنَا قَوَانِينُ ثَابِتَةٌ لِلْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ. وَلَا يَحْدُثُ شَيْءٌ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ سِوَاءِ كَانَ حَسَنًا أَمْ سَيِّئًا. زَالَتْ الْعَدِيدُ مِنَ الْحَضَارَاتِ الَّتِي قَامَتْ التَّغْيِيرِ وَالتَّجْدِيدِ فِي التَّارِيخِ. وَلَقَدْ وَصَلَتْ الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى مُجْتَمَعٍ وَقَعَ فِي الشَّرْكَ وَيَعْتَقِدُ أَنَّ التَّمَسُّكَ الْأَعْمَى بِدِينِ آبَائِهِمْ مَهَارَةٌ بَدَلًا مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّجْدِيدِ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ تَغْيِيرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَكِنْ أَرَادُوا مَنَعَ وِلَادَةَ الْإِسْلَامِ وَانْتِشَارَهُ. وَنَتِيجَتُهُ لِهَذَا الْفِكْرِ، دُفِعَتْ أَسْعَارٌ كَثِيرَةٌ فِي حُرُوبٍ مِثْلَ بَدْرٍ وَأَحَدٍ وَالْحَنْدَقِ. إِثْمًا الْقَائِرُونَ فِي التَّهَابَةِ هُمْ مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى التَّجْدِيدِ وَالتَّغْيِيرِ، وَنَحْنُ الَّذِينَ نَعِيشُ فِي أُرُوبَا الْيَوْمَ، يَجِبُ أَنْ نَكُونَ مُسْتَعِدِّينَ لِلتَّجْدِيدِ وَالتَّغْيِيرِ مَعَ السُّلُوكِ الْفَاضِلِ لِهَذِهِ الْجُغْرَافِيَا، وَفَقًا لِأَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ! الْإِسْلَامُ لَدَيْهِ فَهْمٌ تَعَدُّدِيٌّ. وَهُوَ يُرِيدُ مِنَ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ يَتَشَارَكُونَ نَفْسَ الْجُغْرَافِيَا أَنْ يَبْنُوا عِلَاقَاتِهِمْ لَيْسَ عَلَى أَسَاسِ اللُّغَةِ وَاللُّوْنِ وَالْقَبِيلَةِ، وَلَكِنْ عَلَى رُؤْيَةٍ جَمِيعِ الْأَعْرَاقِ الْمُخْتَلِفَةِ كَثْرَةً،

وَالِالتِّقَاءِ بِبَعْضِهِمْ الْبَعْضِ وَإِقَامَةِ عِلَاقَاتٍ جَيِّدَةٍ. الْمُسْلِمُونَ مَسْئُولُونَ عَنْ سُلُوكِهِمْ الْمِثَالِيَّ وَمَسْئُولُونَ عَنْ نَشْرِ الْعَدْلِ وَالْوَحْدَةِ وَالصِّدْقِ وَالْأَخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَسَاجِدَنَا مِنْ بَيْنِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي نَتَعَلَّمُ فِيهَا هَذِهِ الْقِيَمَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! فِي الْبُلْدَانِ الْأُرُوبِيَّةِ، الَّتِي نَحْنُ مُوَاطِنُونَ فِيهَا، لَا يُمَكِّنُ الْحِفَاطُ عَلَى هُوِيَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا سِيَّمَا تَعَلُّمَ أَطْفَالِنَا وَشَبَابِنَا لِدِينِهِمْ وَقِيَمِهِمْ الْأَسَاسِيَّةِ، إِلَّا مِنْ خِلَالِ الدَّرُوسِ الْمُعْطَاةِ فِي مَسَاجِدِنَا مَعَ نَمَازِجِ الْأُسْرَةِ وَالْيَبِيَّةِ. إِذَا اسْتَطَعْنَا الْحَدِيثَ عَنْ وُجُودِ الْمُسْلِمِينَ يُمَثِّلُونَ الْإِسْلَامَ بِأَفْضَلِ صُورَةٍ فِي جَمِيعِ الْمَنَاطِقِ الْجُغْرَافِيَّةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، وَخَاصَّةً فِي أُرُوبَا، فَذَلِكَ بِلَا شَكِّ لِأَنَّ مَسَاجِدَنَا تُؤَدِّي هَذِهِ الْوُظَائِفَ. وَبِفَضْلِ دَعْمِ مَسَاجِدِنَا لِلتَّضَمُّنِ بِالنَّفْسِ، يَتَمَتَّعُ الْأَلْفُ مِنْ أَطْفَالِنَا وَشَبَابِنَا بِفُرْصَةِ التَّعَرُّفِ عَلَى دِينِهِمْ مِنْ أَصَحِّ الْمَصْدَرِ. إِنَّ الدَّرُوسَ الدِّينِيَّةَ وَاللُّغَوِيَّةَ وَالْأَخْلَاقِيَّةَ الَّتِي تُعْطَى فِي مَسَاجِدِنَا، وَالْمُحَادَثَاتُ مَعَ الْكِبَارِ وَالْأَنْشِطَةَ التَّعْلِيمِيَّةَ تَبْنِي الْأَفْرَادَ ذَوِي الْمَوْقِفِ الْإِسْلَامِيِّ، الَّذِينَ يُدْرِكُونَ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ وَلَا يَفْقِدُونَ هُوِيَّتَهُمُ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي أُرُوبَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ! لَيْسَ فَقَطُ أُرُوبَا وَلَكِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. لِأَنَّ الْإِسْلَامَ حَوْلَ الْمُجْتَمَعِ الْجَهْلِ الَّذِي لَدَيْهِ عَقْلِيَّةٌ قَاتِمَةٌ لِدَفْنِ قَتِيَّاتِهِ أَحْيَاءً إِلَى مُجْتَمَعٍ رَائِدٍ وَمِثَالٍ لِلْإِنْسَانِيَّةِ فِي وَقْتِ قَصِيرٍ جَدًّا. وَحَوْلَ الْإِسْلَامِ قُطْعَ الطَّرِيقِ مِنْ قَبِيلَةِ غِفَارِ، الَّذِينَ سَرَقُوا الْقَوَائِلَ وَأَخَذُوا مُمْتَلِكَاتِ النَّاسِ بِالْقُوَّةِ إِلَى أَوْلِيَّاتٍ مِثْلِ أَبُو زَرْ. أَوْدُ أَنْ أَنْتَهَى حُطْبَتِي بِالْكَلِمَاتِ الْهَامَّةِ الثَّلَاثَةِ لِتَبِينِ الْحَبِيبِ، الَّذِي رَسَخَ مَوْقِفَنَا الْإِسْلَامِيَّ وَكَبَّتْ أَقْدَامَنَا عَلَى الْحَقِّ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ وَلَكِنْ رَضِي أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوا إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَصِلُوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ."

الْوَقْفُ الْإِسْلَامِيُّ الْهُولَنْدِيُّ